# الحجج المؤسسة لبنية الواقع في قصة لوط عليه السلام

مستل من رسالة ماجستير بعنوان:

## الحجاج في قصة لوط (عليه السلام)

# The arguments establishing the structure of in story of Lot, peace be upon: him Excerpted from a master`s thesis entitled


إعداد الدارسة

**ندا أحمد محمد**

طالبة ماجستير بقسم البلاغة والنقد

بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

## ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الحُجج التي تؤسس بنية الواقع بواسطة الحالات الخاصة، أو بواسطة التمثيل، من خلال توظيف الحجاج، وبيان أثره في قصة لوط عليه السلام؛ لما للحُجج من دور في التأثير والإقناع في المُتلقي.

وتقوم هذه الدراسة على تطبيق ما يندرج تحت قسمي الحالات الخاصة، والتمثيل من أقسام الحُجج المؤسسة لبنية الواقع، سواء بانطلاق فكرة معينة؛ لتأسيس الواقع يُمكن من خلالها بناء حالة عامة من حالة خاصة كما في المثال، أو الإتيان بحُجة لتقوية درجة التصديق كما في الشاهد، أو الإتيان بشخص يتميز بسلوك يجعله قدوة حسنة كما في النموذج، كما تقوم هذه الدراسة على تطبيق الحُجج التي تؤسس الواقع بواسطة التمثيل، سواء بالتشبيه أو الاستعارة.

ومنهج البحث يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه منهجًا إجرائيًا؛ حيث يهتم برصد الظاهرة ووصفها، وتوظيفها من خلال التحليل الحجاجي والبلاغي. وجاء البحث مشتملًا على مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم النتائج ويليها قائمة المراجع.

وقد توصل البحث إلى بعض النتائج، ومن هذه النتائج ما يلي: أن الحجاج في قصة لوط عليه السلام قام على المشابهة بين أقوام الأنبياء بهدف استنتاج نتيجة واحدة، كما أظهر المشاعر التي نتجت إثر بيان الحُجج، كما أسهم التمثيل في تحريك الذهن ومعالجة النص معالجة إبداعية، كما أوضحت الدراسة الاعتماد على الحُجج العاطفية والتحذيرية بهدف التأثير في نفس المتلقي، كما اهتمت الدراسة بالمقارنة بين حال قوم النبي لوط وحال الأقوام قبلهم وكذلك من بعدهم، لبيان العلاقة بينهم وبناء قاعدة معينة من قواعد الحُجج.



**الكلمات المفتاحية:**

**الحُجج- بنية الواقع- الحالات الخاصة- التمثيل- قصة النبي لوط**

## Research Summary

## the arguments which create the structure of reality The prophet Lot story

The aim of this study is to know the arguments which create the structure of reality through special cases or through exampling, by employing the arguments and showing their effects on the story of Lot. The arguments play a role in influencing and persuading the recipient.

This study is based on applying what related with the sections of special cases and exampling which establish the figures reality, it is either by starting a specific idea to establish the reality from which a general case can be made from a special case or getting an argument to strengthen the degree of credibility, or getting a person who is a good role model.This study also applies arguments that create reality through exampling either by analogy or metaphor.

The research approach relies on the analytical descriptive approach as a procedural approach, monitoring, describing and employing the phenomenon through argumental and rhetorical analysis.

The research including an introduction, two units and a conclusion followed by a list of references. The research clarifies the arguments in Lot's story based

on similarity between the prophets' nations to get the same conclusion

It also shows resulted argumens feelings.the exampling also get the mind thinks powerfully and process the text creatively.

The study also shows the use of emotional and warning arguments in order to impact on the recipient . It's also focuses on comparing the condition of the prophet Lot's people with the people before and after them to show the relationship between them and to build a certain rule of the argument.

**Key words:**

arguments- structure reality- special cases- exampling- The prophet Lot story.

## مقدمة:

يُبني الحجاج على تقنيات متعددة تُستخدم في إقامة الحُجج الحوارية في مقام الخطاب، وتُستخدم هذه التقنيات في الخطاب الحجاجي سواء في الحوار المباشر في القصص، أو حكاية عن القصة؛ فمن خلال تقنيات الحجاج يتم استحضار الحُجج الأكثر تأثيرًا وجعلها أمام أعين الجمهور، ويتم توجيه الأذهان وإقناعهم بفكرة معينة.

فالحجاج بدوره يقوم على دراسة تقنيات الخطاب، هذه التقنيات تقوم بدور نشط في الحوار الحجاجي والاقناعي؛ فتؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُقدّم لها من أفكار، وربما تزيد من درجة التسليم.

يندرج تحت نظرية الحجاج تقنيات متعددة من الحُجج، كالحُجج شبه المنطقية، والحُجج المؤَسسة على بنية الواقع، وكذلك الحُجج المؤسِسة لبنية الواقع وهذه التقنية الحجاجية هي محور البحث.

حيث يُعد هذا النوع من الحجج وثيق الصلة بالواقع لأنه يهدف إلى الربط بين الأحداث، وتسلسلها، ولكن هذه الحُجج لا تتأسس على الواقع، وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع، أو على الأقل تُكمله، وتُظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه، أو تُجلي ما لم يُتوقع من هذه العلاقات، وما لم يُنتظر من صلات بين عناصره ومكوناته. وتنقسم الحُجج المؤسسة لبنية الواقع إلى قسمين:

١- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، كالمثال، والشاهد، والنموذج.

٢- تأسس الواقع بواسطة التمثيل: كالتشبيه والاستعارة.[1]

وقد جاءت هذه الحُجج في الآيات التي تناولت قصة لوط عليه السلام، وأيضًا في الآيات التي شملت القصة بجانب قصص الأنبياء السابقين لها.

ويُمكن توضيح قسمي الحُجج المؤسسة لبنية الواقع على الشكل التالي:

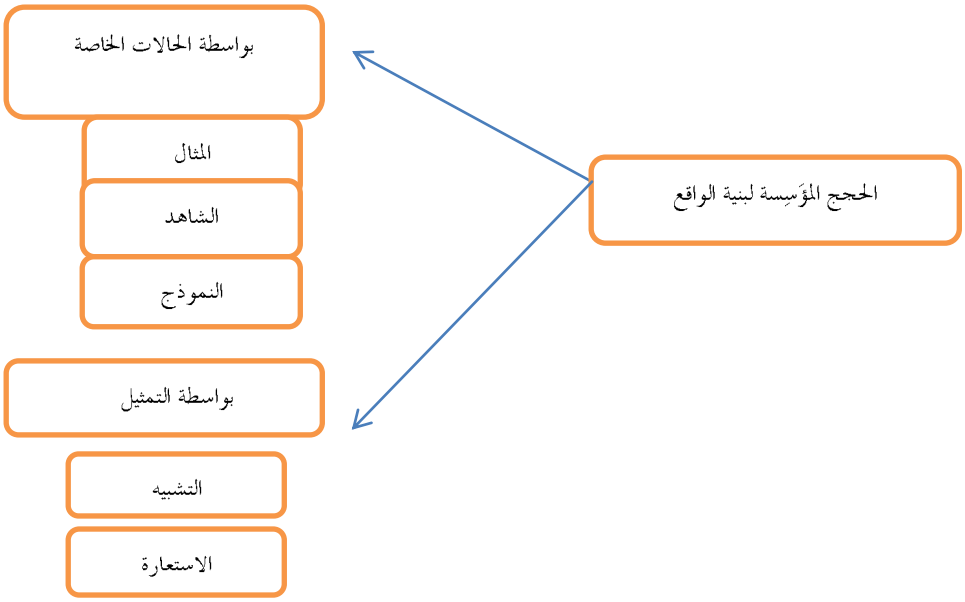


## ١ـ الحُجج المؤَسِسة للواقع بواسطة الحالات الخاصة:

يهدف هذا النوع من الحُجج إلى ترسيخ فكرة معينة، وقد يُراد من هذه الحُجة دحض فكرة أخرى من خلال العرض، وتأتي الحُجج المؤسِسة للواقع إما حُجة المثال، أو حُجة الشاهد، أو حُجة النموذج، ويلحق بالمثال الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخَاطب كالمقولات الدينية، أو كلمات القُواد الخالدين في نظر الجماعة المقصودة؛ لأن قيمة الشخص المعترف بها سلفًا من قِبل السامعين يُمكن عُدّها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج، وما يصدق على الفرد يصدق أيضًا على الجماعة؛ لأنه إذا كان للشخص نموذجه الذي يحترمه ويجله فإن للجماعة كذلك نموذجها.[٢] ويُبنى هذا النوع من الحُجج على ثلاثة أقسام من الحُجج وهي كالتالي:

## أ ـ المثال:

ويُقصد بالمثال " أي المثال المفرد المعزول الذي يعتمد لتعميم حكم ما، أو فكرة معينة فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة، ثم الانطلاق منها، وبناء الواقع عليها"[٣]

ومما ورد من آيات قصة لوط عليه السلام، ما جاء في سورة الفرقان في قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ " حيث جاء الخطاب القرآني في الآيات الكريمة مشتملًا على مجموعة من ضرب المثل حتي يُقرّب المعاني إلى النفس البشرية؛ لتقنع، وتتعظ من أحوال الأمم البائدة، فجاء الحديث بدايةً من قوم موسى عليه السلام الذين كذبوا بآيات ربهم فدمرهم تدميرا، وقوم نوح الذين كذبوا الرسل فعاقبهم الله بالطوفان، وكذلك قوم عاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم كثير من الأقوام الهالكة، إلى أن يتجدد ضرب المثل على قوم لوط عليه السلام بأسلوب مختلف عن القصص السابقة؛ حيث جاء المثل عن طريق المحسوسات، والرؤية المُحققة بالعين؛ وبذلك يقول الطاهر بن عاشور: " لما كان سَوْق خبر قوم نوح وعاد وثمود، وأصحاب الرس، وما بينهما من القرون مقصودًا؛ لاعتبار قريش بمصائرهم نُقل نظم الكلام هنا إلى أضاعتهم الاعتبار بذلك، وبما هو

أظهر منه لأنظارهم، وهو آثار العذاب الذي نَزل بقرية قوم لوط، وكانت قريش يمرون بديار قوم لوط في أسفارهم للتجارة إلى الشام، فكانت ديارهم يمر بها طريقهم قال تعالى "وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون"، وكان طريق تجارهم من مكة إلى المدينة، ويدخلون أرض فلسطين، فيمّرون حذو بحيرة لوط التي على حافتها بقايا مدينة سدوم، ومعظمها غمرها الماء". (٥)

ويُعد قوله تعالى: " وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿١٠﴾ " من الأمثلة التي أوردها الله عز وجل في الآية؛ لبيان التشابه بين إعراض قوم لوط عليه السلام، وصدهم عن قبول دعوته، وكذلك حال كفار قريش بعدما علموا من قصص السابقين، وكانوا يمرون على القرية التي أمطرت مطر السوء – قرية سدوم وما حولها – ، فجاءت " حُجة المثال هنا قائمة على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويُراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها "(٦) ، فالمشابهة في الحالة الأولى تُمثل كفار قريش، والمشابهة في الحالة الثانية جميع الأمم الهالكة، وبالأخص قوم النبي لوط؛ إذ كانت قريتهم على قرب من جزيرة العرب، ويرونها رأي العين ومع ذلك لم يؤمنوا!

فكون المَثل هنا كان الغاية منه الزجر عن تكذيب الأنبياء، جاءت قصة قوم لوط عليه السلام مثالًا حيًا أمام أعينهم لهدف سوَق الحجج والبراهين المنصهرة داخل النص القرآني.

ويُمكن حمل المَثل في سورة الأعراف في قوله تعالى " وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾" على ما تقدم من ذكر المَثل في سورة الفرقان؛ فكما جاء المثل في الفرقان عن ذكر حال المُكذبين لأنبيائهم، جاء المثل في سورة الأعراف عن تفرّد قوم النبي لوط بقبيح عملهم عن سائر العالمين، فاستخدام التمثيل استخدامًا حجاجيًا ليس قائمًا على علاقة تشابه إنما

هو تشابه علاقة[٧]، وعليه فإن تشابه العلاقة بين حال الكافرين هو الإعراض على الرغم من وجود الأدلة على صدق دعوة أنبيائهم.

وجاء هذا التفرد أيضًا في سورة الشعراء في قوله تعالى " أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾" حيث جاء المثل هنا برهانيًا وحُجة على القوم، فالاستعانة بالمثال لدعم الحُجة أمر مقبول بالاعتماد على قاعدة خاصة لدحض فكرة الانحراف السلوكي الذي اختص به قوم النبي لوط.

**بد الشاهد:**

المقصود بالشاهد فهو: " حُجة يُؤتى بها لتقوية درجة التصديق بقاعدة ما معلومة، وذلك بتوضيح حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا القول في الذهن" وبذلك يكون الفرق بين المثال والشاهد أن الأول مُؤسس للقاعدة والآخر مُقوي لدرجة التصديق بها. [٨]

ورد الشاهد في سورة هود في قوله تعالى " وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾"، وفي سورة الحجر في قوله تعالى " قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ "، فالخطاب القرآني في كلا الآيتين جعل المخاطب مباشرة أمام الشاهد؛ حيث جاءت الإشارة إلى الشاهد في قوله تعالى " هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ" وجاءت الإشارة أيضًا إلى الشاهد في قوله تعالى:" هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾"

لهدف التوضيح بتقديم حالة خاصة تقوّي درجة التصديق بقاعدة معينة، وهي أن يتقوا الله، ويكفوا عن قبيح فعلهم مع الرجال خاصةً، وأن ما يسعون من أجله موجودًا أمام أعينهم، فلماذا الانحراف عن الفطرة السليمة!

فالشاهد أعطى مظهرًا حيًا وملموسًا، إذ لا يتعلق الأمر بالتدليل بقدر ما يعمل الشاهد على تحريك المخيلة، وتقوية الفكرة، وتأكيد حضورها في الذهن.(٩) حيث أراد النبي لوط عليه السلام بهذا الشاهد في هذه الواقعة تقوية دعوته في الأذهان بحضور الشاهد، إذ جاء المثل كما تقدم سابقًا لتأسيس القاعدة في حين جاء الشاهد هنا؛ لتقوية حضور الحُجة، وجعل القاعدة المجرّدة حسيّة وملموسة، حتى تكون شاهدًا على كل صاحب عقل.

**ج- النموذج:**

ويُمثل النموذج أو القدوة الشخص الذي يتميز بسلوك مميز يؤهله أن يكون نموذجًا يحتذى به، ويصلح للقدوة، وهو كما قال عبد الله صولة: " ومداره على كائن يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة، أو دعمها فحسب، وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداءً به، ومحاكاة له، ونسجًا على منواله". (١٠)

وقد كان النبي لوط متفرّدًا بالطهارة وسط مجتمع تشيع فيه الفاحشة، فكانت دعوته غريبة عليهم، أرادوا بكل الحيل أن يوقفوه عن دعوته إياهم، ومن ذلك ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى " وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

وفي سورة النمل جاء النموذج في وصف النبي لوط وأهله بالطهارة في قوله تعالى: " ۞فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ " فرأى القوم أنهم لا بد أن يخرجوا من قريتهم؛ كي لا تنتقل هذه الطهارة إلى أهل القرية، فالأصل عند قوم النبي لوط صار معكوسًا حيث يرون أن الطهارة أمرٌ شاذٌ، ونجاسة عملهم هو الأصل!

ويُعد النبي لوط عليه السلام نموذجًا ذا قيمة أخلاقية كان من الأَولى أن يتخذه قومه قدوة، ويحذوا حذوه؛ " لأن قيمة الشخص المعترف بها سلفًا من قِبل السامعين يمكن

اعتبارها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج، وما يصدق على الفرد يصدق كذلك على الجماعة، لأنه إذا كان للشخص نموذجه الذي يحترمه، ويجله فإن للجماعة كذلك نموذجها" (١١)

لكن تصلّب الرأي الذي عُرف به قوم النبي لوط كان كافيًا أن يستمروا في معصيتهم، دون اعتبار للأصل الذي عليه عامة الناس، ودون اعتبار لطهارة النبي لوط عن قبيح عملهم.

وتأتي سورة الأنبياء لتوضح جزاء الإيمان بالله، وجزاء إتباع أوامره والبعد عن نواهيه، وجزاء صاحب القدوة الحسنة والنموذج المثالي في قوله تعالى: "وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾"

حيث نجي إبراهيم، ولوط من العراق إلى الشام، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية، وهي البركات الحقيقية، ورُوي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة بوم وليلة، وكان جزاء النبي لوط في قوله تعالى: " وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾" والحكمة هو ما يجب فعله، أو فصلًا بين الخصوم، وقيل: من النبوة، والقرية : سدوم. (١٢)

وعلى الرغم من أن النبي لوط كان قدوة حسنة، و لم يقتدِ به قومه، إلا أن طاعته لله ودعوة قومه إلى البعد عن الرذائل كانا سببًا في نجاته من العذاب الذي حل على

قومه؛ فالقدوة هنا تمثيلًا للحالات الخاصة التي يُمكن أن تؤسس قاعدة عامة لمجتمع يسوده الأخلاق والفضيلة.

## ٢ـ الحجج المؤسسة لبنية الواقع بواسطة التمثيل:

يقوم هذا النوع من الحُجج على تأسيس الواقع عن طريق التمثيل، والتشبيه؛ حتى تحصل المقاصد والأهداف الحجاجية، ويُعرّفها عبد الله صولة بقوله: " إن التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية هذه حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البُنى، وصيغة هذا التماثل هي: أن العنصر (أ) يمثّل إلى العنصر (ب) ما يمثّله العنصر (ج) بالنسبة إلى العنصر (د) أي أن ما يؤسس أصالة التمثيل، وما يميّزه من التماثل الجزئي أي ما يميّزه من مفهوم المشابهة المبتذل على نحو ما، إنه علاقة مشابهة وإنما هو تشابه علاقة.[١٣]

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني العلاقة بين التمثيل والحجاج في قوله " أن ما أتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدراها وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس إليها، ودعا القلوب إليها واستنار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا...وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر.[١٤]

وإذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كان إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان ومثّل لذلك بالصورة الواحدة في السماء والأرض.[١٥]

وللتمثيل عدة خصائص يُمكن إجمالها في النقاط الآتية:[١٦]

- يرتكز التمثيل على استدعاء صورة تحكي أحداثًا من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية.

- تقوم العلاقة فيه على مماثلة تتحقق بين عناصر تنتمي إلى مجالات مختلفة.
- يتجه التمثيل نحو مخيلة الإبداع ويتجاوز اللغة وحدود الواقع ويفهم عن طريق تحريك الذهن، مما يتطلب معالجة إبداعية.
- إن الأساس في التمثيل يكمن في العلاقة بين الموضوع والحامل (وجه الشبه) وتوتر العلاقة بينهما، مثل مغرب اليوم ليس هو مغرب الأمس.

والعلاقة بين التمثيل، والتشبيه، والاستعارة متقاربة؛ لأن هذه العلاقة هي التي يقوم عليها الحجاج في البنية المؤسسة لبنية الواقع كما سيذكر البحث:

## أ- التشبيه:

يُعد التشبيه من أكثر الأغراض البلاغية انتشارًا التي تشتمل على مجموعة من الحُجج التي تسعى إلى تحقيق الواقع، فالتشبيه: " إلحاق أمر المشبه بأمر المشبه به في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة الكاف وكأن وما في معناها لغرض فائدة. (١٧)

ويُعرّف الجرجاني التشبيه بقوله:" أن التشبيه إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن، والآخر أن يكون الشبه محمّلًا بضرب من التأويل، فمثال الأول تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة، والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد والشعر بالليل...(١٨)

والتشبيه في قصة لوط عليه السلام جاء بين عدة أطراف تشابهوا جميعًا بالتمتع بالقوة والمال ورغد العيش، وكذلك جاء التشابه في عصيانهم لأنبيائهم كما جاء الحديث عنهم في سورة التوبة في قوله تعالى:" وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم

بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ "

والمعنى: أنكم استمتعتم، وخضتم كما استمتعوا، وخاضوا، وقوله " كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ" تفسير لتشبيههم بها وتمثيل فعلهم بفعلهم، والخلاق: النصيب وهو ما خُلق للإنسان أي: قُدّر من خير، والخوض: الدخول في الباطل واللهو، فأن قلت: أي فائدة في قوله: " فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ" وقوله " كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ" ؟ مغنٍ عنه كما أغنى قوله: " كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ" عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا؟ قلت: فائدته أن يذم الأوليّن بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا، ورضاهم بها عن النظر في العاقبة، وطلب الفلاح في الآخرة، ثم يشبه حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبيه بعد الظلمة على سماجة فعله. (١٩)

فالمشبه هم " ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ" في عهد النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث أشار الزمخشري إليهم في تفسيره في سورة التوبة حين قال: "بينا رسول الله يسير في غزوة تبوك، وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذه يريد أن يفتح قصور الشام، وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال: احبسوا على الركب، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا؟ فقالوا: يا نبي الله، لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر. (٢٠)

والمشبه به جاء في " كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ" و " كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ" ، والمقصود بذلك تشبيه حال هؤلاء المنافقون والكفار بحال مَن سبقهم من الأمم الهالكة، وهم الذين ذكرهم السورة الكريمة في قوله تعالى:

" أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ "

أما قوله: " وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ" فأهل مدين هم قوم شعيب، والمؤتفكات هم قوم لوط، وقيل قربات قوم لوط، وهود، وصالح، وائتفاكهنّ: انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر، " فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ" فما صحّ منه أن يظلمهم فهو حكيم لا يجوز أن يعاقبهم بغير جُرم، ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به، فاستحقوا عقابه.(٢١)

وأداة التشبيه الكاف جاءت في " كَٱلَّذِينَ" و " كَمَا" و "كَٱلَّذِي"، ووجه الشبه: المساواة في العقاب بدخولهم النار جميعا.

وقد جاء التمثيل في سورة الحج في قوله تعالى:

" وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ "

حيث جاء التشبيه في بيان حال المكذبين في عهد النبي محمد أيضًا، وهم الطرف الأول في التشبيه، أي – المشبه–، أما المشبه به فهم مَن وردوا في قوله تعالى: " قَوۡمُ

نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾"

وقد حُذفت أداة التشبيه، وجاء وجه الشبه: المساواة في العقاب أيضًا.

فالحُجة الأولى جاءت بذكر أحوال الأمم السابقة، والحُجة الثانية جاءت عن حال المنافقين والكفار، وهاتان الحُجتان جيء بهما بهدف تحقيق معنى واحد وهو التحذير من تكرار عملهم وهو تكذيب الأنبياء، وكذلك؛ لبيان سوء عاقبة من كذّب، ونافق الأنبياء بأن مكثوا في النار؛ "إذ أن الاستدلال بالتمثيل إنما هو بناء بنية واقعية تسمح بإيجاد، أو إثبات حقيقة بفضل تشابه في الصفات" (٢٢)

فالآيات الكريمة جاءت؛ لتُمثّل واقعًا بواسطة التمثيل من خلال الربط بين قضيتين متماثلتين، ومتجانستين في الحال.

## بد الاستعارة:

تعد الاستعارة من أهم أبواب علم البيان التي نالت اهتمامًا كبيرًا في النظرية الحجاجية حيث" تُمثل تفاعلًا بين أطراف التمثيل الذي يشتد، ويلطف أحيانًا فيصبح استعارة؛ فالاستعارة مشتقة من التمثيل ومنطلقة منه فهي حصيلة تفاعل لا نتيجة استبدال"(٢٣) وبما أن الاستعارة أحد أعمدة البلاغة فقد عرّفها الشريف الجرجاني بقوله: "أنها: ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبّه من البين، كقولك لقيت أسدًا، وأنت تعني به الرجل الشجاع، ثم إذا ذُكر المشبّه به مع ذكر القرينة يسمى استعارة تصريحية، وتحقيقية نحو: لقيت أسدًا في الحمام."(٢٤)

كما أن الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه، وأداته ووجه الشبه، لكنها أبلغ منه لأننا مهما بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين، وهذا يدل على التباين المشترك بينهما، إلا أن الاستعارة فيها دعوى الامتزاج والاتحاد، وأن المشبه والمشبه به صار شيئًا واحدً يصدق عليهما لفظ واحد. (٢٥)

وتُعرف الاستعارة في الواقع بتمثيل مُكثّف يعبر عن بعض عناصر الموضوع، والحامل بإضمار الأخرى، وذلك مثل: الشيخوخة مساء الحياة، التمثيل فيه ضمني:

الموضوع

أ الشيخوخة ب الحياة

الحامل

ج المساء د النهار

باختصار: مثل الشيخوخة للحية كمثل المساء للنهار، لكن أحد الحدود الأربعة مُضمر في الاستعارة، وفي الاستعارة الغيابية حدان مضمران مساء الحياة (بالنسبة للشيخوخة)" (٢٦)

وقد جاءت الاستعارة في سورة هود في قوله تعالى: "وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾" حيث عبّر القرآن الكريم عن حالة النبي لوط، وعن غضبه من فعل قومه بقوله: "وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا"، وقد ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية فقال: " كانت مساءة لوط، وضيق ذرعه؛ لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه، وأن يعجز عن مقاومتهم، ومدافعتهم" (٢٧) فاستعار الذراع؛ للتعبير عن العجز، وعدم القدرة على الحركة، ويُمكن تقدير القول بـ: ضاق صدره كضيق حركة الذراع، فُحذف أحد طرفي التشبيه، وهو المشبه، وبقيّ المشبه به وهو " وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا"، وهذا المعنى قد جوّزه الطاهر بن عاشور في قوله: "يجوز أن يكون ضاق ذرعًا تمثيلًا بحال الإنسان الذي مدّ ذراعه فلا يستطيع مَدّهَا كما يريد فيكون ذَرعه أضيق من معتاده، فهو استعارة تمثيلية لحال مَنْ لم يجد حيلة في أمر يريد عمله بحال الذي لم يستطع مدّ ذراعه كما يشاء" (٢٨)

فالاستعارة هنا في ضيق الذراع، وموضعها في الآية الكريمة قد جعل الطاقة الحجاجية تظهر بشكل جلي فهي تهدف إلى مزيد من التقريب بين الطرفين، فتوضح صعوبة موقف النبي لوط أمام هذا الكم المتكاتف على فعل الفاحشة، وأنه عليه السلام كان يخشي أن يلحق بضيوفه سوء.

## خاتمة البحث:

وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات:

وقد توصل البحث إلى أبرز النتائج، ومن هذه النتائج ما يلي: أن الحجاج في قصة لوط عليه السلام قام على المشابهة بين أقوام الأنبياء بهدف استنتاج نتيجة واحدة، كما أظهر المشاعر التي نتجت إثر بيان الحُجج، كما أسهم التمثيل في تحريك الذهن ومعالجة النص معالجة إبداعية، كما أوضحت الدراسة الاعتماد على الحُجج العاطفية والتحذيرية بهدف التأثير في نفس المتلقي، كما اهتمت الدراسة بالمقارنة بين حال قوم النبي لوط وحال الأقوام قبلهم وكذلك من بعدهم، لبيان العلاقة بينهم وبناء قاعدة معينة من قواعد الحُجج.

وتوصي الدراسة بتوجيه الباحثين إلى دراسة آيات قصة لوط عليه السلام تطبيقًا على أساليب أخرى، ودراسة أنواع أخرى من الحجاج.

## قائمة المصادر والمراجع:

**أولًا المصادر:**

١- القرآن الكريم

**ثانيًا: المراجع العربية:**

١- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، ص ٢١٣.

٢- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: مطبعة الشرقي بشارع عبد العزيز مصر، ١٣١٩هـ، ص ٨٦: ٨٨.

٣- الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر ):

- تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، ص ٦٨٣.

٤- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م، ص ٢٤٢.

٥- الشريف الجرجاني (علي بن محمد ):

-كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٠.

٦- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، المجلد التاسع عشر، ص ٢٩، ٣٠.

٧- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ط أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦، ص.٩٦

٨- عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ص.٥٥

٩- محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٣١، ١٣٢.

١٠- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار أفريقيا الشرق، المغـــرب، ص ٨٢.

**ثالثًا: المراجع المترجمة:**

١- أوليفيي روبول: مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبة، أفريقيـــا الشـــرق المغرب، ص ٢١٦، ٢١٧.

## الهوامش والإحالات

(١) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م، ص ٢٤٢.

(٢) محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحـــدة، لبنـــان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) انظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص ٢٤٣.

(٤) انظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تـــونس، ١٩٨٤م، المجلد التاسع عشر، ص ٢٩، ٣٠.

(٥) انظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ص ٨٢.

(٦) محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص ١٣٢.

(٧) انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيـــع، تونس، الطبعة الأولى، ص٥٥.

(٨) انظر: عبدالسلام عشير: عندما نتواصل نغير، ط أفريقيا الشـــرق، المغـــرب، ٢٠٠٦، ص٩٦.

(٩) عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص٥٥.

(١٠) محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص١٣٢.

(١١) الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، ص ٦٨٣.

(١٢) انظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٥٦، ٥٧.

(١٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: مطبعة الشرقي بشارع عبد العزيز، مصر، ١٣١٩هـ، ص ٨٦: ٨٨.

(١٣) المرجع نفسه: ص١٠٢.

(١٤) انظر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ٩٨.

(١٥) انظر: أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، ص ٢١٣.

(١٦) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٦٦.

(١٧) انظر: الزمخشري: تفسير الكشاف، ص ٤٤١.

(١٨) المرجع نفسه: ص ٤٤٠.

(١٩) انظر :المرجع نفسه، ص٤٤١.

(٢٠) انظر: أوليفيي روبول: مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبة، أفريقيا الشرق المغرب، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢١) انظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص٦٠.

(٢٢) الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٠.

(٢٣) انظر: أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص٢٠.

(٢٤) انظر: أوليفيي روبول: مدخل إلى الخطابة، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢٥) الزمخشري: تفسير الكشاف، ص ٤٩١.

(٢٦) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الجزء الثاني عشر، الدار التونسية للنشر، ص١٢٥.